

سيميولوجيا النص: بحث في المفهوم والأنواع .

Texte sémiology: search of the concept and the types

الدكتور. لخذاري محمد

الدكتور. شادلي عمر

المركز الجامعي بأفلو – الجزائر

chadliabk@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/03/15

تاريخ القبول: 2021/01/05

تاريخ الإبداع: 2020/10/04

ملخص :

لقد بدأ ظهور السيميولوجيا (علم العلامات) مع الدراسات الأولى، التي قام بها الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندريس بيرلس (Charles Sandres Peirce) (1839-1914)، وتمّ الإرهاص لميلادها الحقيقي في الدراسات اللسانية المنبثقة من أبحاث اللساني الكبير فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857-1913) لتأخذ- بعد ذلك- أشكالاً دراسية مغايرة ومختلفة، ظهرت في الدراسات ما بعد البنيوية: مركزة على العلامات الموجودة في جميع الأنظمة التواصلية، الملفوظ منها وغير الملفوظ، وذلك حسب أنواعها وتوجهات أصحابها، حيث سعى كل واحد منهم إلى ربطها بالمجال المعرفي الذي اشتغل عليه. وعليه جاءت هذه الورقة البحثية، لتميط اللثام عن هذا العلم، وتكشف عن بداياته وأنواعه. كما جاءت لتتكلم عن رواده وإسهاماتهم ضمن تخصصاتهم المعرفية وتوجهاتهم الفكرية.

الكلمات المفتاحية: النص - العلامة - السيميولوجيا - القراءة والتأويل - الشفرة.

Abstract:

The emergence of semiology (the science of signs) began with the first studies carried out by the American philosopher Charles SandresPeirce (1839-1914). Its real birth was found in the linguistic studies emanating from the modern linguistic lesson's researches, which was supervised by the great linguist Ferdinand de Saussure (1857-1913), to take after that varied and different study forms that appeared in post-structural studies focusing on all communicative systems' signs, both spoken and non-verbal, according to their types and the orientations of their owners, as each one of them sought to link it to the field of knowledge in which he worked. Accordingly this research paper came to appear this science and reveal its beginnings and types. It also came to talk about its pioneers and their contributions on their knowledge specializations and intellectual orientations .

Key words: the text- the sign- the sémiology- Reading and interpretation- the code.

توطئة:

إنَّ علم السِّمولوجيا (Sémiologie) شأنه شأن العلوم، التي اهتمت بمنجزات الإنسان اللفظية وغير لفظية، التي استطاع من خلالها أن يصنع كثيرا من الأنظمة التّواصلية. حيث يحكم نسيجها المترابط العلامات العائمة على السطح؛ وهذه العلامات كانت في كثير من الأحيان - تصدر بطريقة واعية وغير واعية، بل كانت تحتاج إلى قارئ ضمني، متسلح بكم هائل من المعارف، والعلوم، والثقافات (...). التي تؤهله إلى فكّ التشفير وتميرير الرسائل بكل أريحية بعد الوصول إلى المسكوت عنه .

لقد أرهص له اللساني السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857-1913) في محاضراته، وعدّه الدّارسون من مناهج ما بعد البنيوية، حيث تمخّضت عنه كثير من الاتّجاهات والأنواع، التي سنتطرق إليها في بحثنا هذا بعد المرور على التّحديد المفاهيمي لهذا العلم القائم بذاته وبغيره من العلوم المساعدة .

ولكي نخوض غمار البحث بكل أريحية، ننطلق من الإشكالية الآتية: ماهي السيمولوجيا؟ وماهي الأسباب التي كانت وراء شيوع الأزمة المصطلحية لهذا العلم؟ ماهي أنواعها ومن هم روادها، وكيف تجلت اختلافاتهم المدرسية ضمن نطاق هذا العلم؟ ونحن نسعى لحل جزئيات هذه الإشكالية والإجابة عن انشغالاتها، نرانا نؤكد للقارئ بأن هذا البحث يهدف إلى:

- إعطاء نظرة شمولية للقارئ حول هذا العلم.
- ذكر الأسباب التي تقف وراء أزمة التشظي المصطلحي لهذا العلم.
- تحديد أنواع هذا العلم وذكر رواد كل نوع على حدة مع التكلم عن توجهاتهم المعرفية.
- ذكر المميزات والخصائص المتعلقة بكل نوع مع استخلاص الفوارق والاختلافات.
- كما نرانا-أيضا- نؤكد للقارئ بأن لهذا البحث أهمية، نوجزها في النقاط الآتية:
- مساعدة الطلبة والباحثين في القبض على ناصية هذا العلم وفهم أبعدياته.
- المساهمة في إثراء المجالات بالأبحاث، التي تساعد على فهم مناهج ما بعد البنيوية وعلومها.

- فتح المجال للأبحاث المشابهة على الإضافة المتواصلة، التي تتماشى مع سيرورة تطور المجتمعات وتطور أنظمتها التواصلية.

(أ) - تحديد المفاهيم والمصطلحات وبحث في إشكالية المصطلح:

لقد أولت الدراسات الحديثة أهمية كبيرة للعنوان **titre**؛ لأنه العتبة الأولى، التي يلج من خلالها القارئ إلى النص ويغوص في باطنه، حتى يكتشف خباياه ويصل إلى أسراره. فهو عند الدارسين والمتخصصين في فقه العنونة (**titrologie**) "أول مفتاح إجرائي نخترق به مغاليق النص، يهدف تفكيكه عناصره، ومن ثم إعادة بنائها مرة أخرى"¹.

وبما أنّ عنوان مقالنا موسوم بـ "سيمولوجيا النص: بحث في المفهوم والأنواع"، تدفعنا منهجية البحث إلى تفكيكه، حتى نجلى للباحث مفهوم المصطلحات ونقوم بتحديدتها؛ لأنّ تحديد المصطلح مهمّ في تحصيل العلوم وإظهار قصد الباحث². ولا يستطيع القارئ أن يدرك العلم بكل تمفصلاته وتفرعاته؛ حتّى يدرك مصطلحاته، وهذا ما أشار إليه عبد السلام المسدي في قوله: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميّز كل واحد منها عمّا سواه"³.

(1)- مفهوم سيمولوجيا النص بين اللغة والاصطلاح:

لكي ندرك فحوى وكنهه مصطلح "سيمولوجيا النص" نعمل- من الناحية المنهجية- على تفكيك هذا التركيب الإضافي*، لنحدّد المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلّ من السيمولوجيا والنص، حتى نصل إلى التحديد الاصطلاحي لسيمولوجيا النص.

(1-1)- مفهوم السيمولوجيا:

أ- لغة:

بعد البحث في المعاجم العربية والغربية، نجد من المعاني التي تتضمنها مادة "سوم" هي العلامة والأثر الذي يُترك على الشيء. جاء في معجم المقاييس: "ومما شذ على عن باب السُومة، وهي العلامة تجعل في الشيء والسيماء، مقصور من ذلك، قال الله

سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ آتَرَ السُّجُودَ﴾ (سورة الفتح: الآية

29). فإذا مدّوه قالوا السيمياء"⁴. وجاء في مختار الصحاح: "السُومة بالضم العلامة تجعل على الشاة، وفي الحرب أيضا تقول منه (تسوم). وفي الحديث: "تسوموا فإنّ الملائكة قد تسومت". والخيل المسومة المعلمة"⁵. وجاء في المعاجم الغربية التأثيل لهذا المصطلح، لإعادته لجذوره اليونانية" هي لفظة تنقسم إلى شقين (Signe) التي جاءت من اللفظة اليونانية (Sémeion) والتي تعني العلامة و Logos التي تعني الدراسة والعلم أي أن لفظة "سيمولوجيا (Sémiologie) تعني في تركيبها دراسة العلامات أو علم العلامات"⁶.

ب- اصطلاحا:

يعرفها سعد البازعي؛ قائلا: "السيمولوجيا (السيميوطيقا)، لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظّمة منتظمة"⁷ وتُعرّف السيمولوجيا بأنّها: "العلم الذي يختص بدراسة العلامات ومستوياتها في الخطابات" وهو التّحديد الذي قدمه الناقد الأمريكي بيرس⁸. ويرى صلاح فضل أنّها من مناهج ما بعد البنيوية، وإن كانت -تاريخيا - بدأت مع البنيوية تقريبا.⁹ أي أن السيمولوجيا كعلم وكمناهج من مناهج ما بعد البنيوية، جاءت لتهتم بدراسة العلامات الموجود في جميع الخطابات؛ بل تسعى جاهدة لفك تشفيرها وتحديد مدلولاتها عن طريق القراءة التأويلية.

(1-2)- مفهوم النص:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب في مادة نحصص: "النص: رفعك النّبيء. نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه وكل ما أظهر فقد نُصّ. ويقال نصّ الحديث إلى فلان، أي رفعه، وكذلك نصّته إليه.

ونصّت الظبية جيدها: رَفَعْتُهُ. ووُضِعَ على المنصّة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. والمنصّة: ما تُظهِر عليه العروس لِتُرى¹⁰. و جاء في "أساس البلاغة": "نصص: الماشطة تنصّ العروس فتقعدها على المنصّة، وهي تنصّ عليها، أي ترفعها. وانتصّ السنّام: ارتفع وانتصب. ومن المجاز: نصّ الحديث إلى صاحبه: رفعه، ونصّصت الرجل إذ أحفيته في المسألة ورفعته ورفعته إلى حد ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه"¹¹. بعد استقراءنا لمادة "نصص" في هذين المعجمين، وجدناها تدل على الرفع والإظهار، والإبراز وتجلية الشيء، حتى يدركه من تلقاه بإحدى حواسه ويحيط به علما من كل الجوانب.

(ب)- اصطلاحاً:

إنّ النَّصَّ حسب طبيعته الهلامية والزئبقية العصيّة - في كثير من الأحيان- على التّحديد والتّعريف والمتمرّدة على القبض والمحاصرة نظراً لإشكاليته المفاهيمية؛ لأنّ طابعه المتغير والتشكّلات، التي يتمظهر بها تجعل من تعريفه مهمّة صعبة، وبوصفه سيرورة تواصلية فإن العديد من أنماط التّواصل تتنازع حوله وتحاول أن تجره إلى حقلها وتوظفه توظيفا إجرائيا... لذلك تباينت الآراء ووجهات النظر في تعريفه وتحديدده بعدما تقاسمها الدّارسون من لغويين إلى لسانيين، ومن ناقدين إلى مؤرخين، ومن فلاسفة إلى مفسرين ولاهوتيين¹².

كل هذا دفعنا إلى التّركيز على تحديده عند الأساتذة والعلماء والمتخصصين في علم النَّصِّ والخطاب. فهاهو فيصل الأحمر يعرفه ؛ قائلاً: "النّصّ ليس جنساً محدداً، وإنما عمل نستطيع أن نحصره في الجملة أو الفقرة، أو الرواية الكاملة، إنّه العمل الأدبي الخلاق الذي يمكن إدراجه تحت أية تسمية، ولا تسمية محدّدة له، وتحرّره ينتج الجديد ويبدع"¹³. ويعرّفه سعيد حسن بحيري، قائلاً: "النّصّ وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكوّن المستوى الأوّل من وحدات نصيّة صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكوّن المستوى الثّاني من تصوّرات كليّة تربط بينها علاقات التّماسك الدلالية المنطقية"¹⁴. فالنّصّ حسب التعريف السابق هو ذلك الكل المتكامل، الذي يظهر للمتلقي في مستواه التّركيبي والدلالي أي في شكله ومضمونه.

وبعد تعريفنا لكلّ من السيمولوجيا والنّصّ، وإذا كان المفهوم البارتي، ينظر إلى النَّصِّ على أنه نسيج من الدلائل والعلامات، الذي يتشكّل منه العمل الأدبي¹⁵، نصل إلى تعريف سيمولوجيا النَّصِّ بأنها ذلك العلم، الذي يبحث في هذه العلامات والدلائل، ليفكّ التّشفير

ويستحضر المسكوت عنه في ثنايا النص، ليشترك المتلقي في عملية فكّ التّشفير وإنتاج المعنى حسب مختلف اتجاهات وأنواع هذا العلم.

2- إشكالية التعدد المصطلحي والخلفيات الثقافية للمترجم :

لقد تعدّدت المقابلات الاصطلاحية لهذا المنهج: السيميائية، السيمولوجيا السيميوطيقا، علم الإشارة، علم العلامات علم الأدلة... إلخ¹⁶. ويرى الدكتور صلاح فضل "أنّ النقاد المغاربة استقرّ رأيهم على مصطلح السيمياء"¹⁷. إنّ هذه الحزمة الهائلة من المصطلحات، هناك من يراها فوضى وإشكالية عمّت الخطاب الأدبي والتّقدي إلا أنّها- في كثير من الأحيان- تعكس لنا المشارب الثقافيّة للمختصّين بالترجمة وباللسان الذي ينقلون عنه، فأصحاب الثقافة الفرنسية يحدّون مصطلح السيمولوجيا (sémiologie) وأصحاب الثقافة الإنجلوساكسونية، يفضلون مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique)، والمتشبّثون بقومية اللغة العربية، يرون في مصطلح السيميائيات، ،والسيمياء، والسيميائية خير تجسيد للتواضع الاصطلاحي العربي ومنهم من رأى خير تمثيل يكمن في مصطلح "السيمولوجيا"، والدكتور صلاح فضل يصرّ على هذه الرؤية، لذلك نجده يقول في كتابه الموسوم بـ"في النقد الأدبي": "ومنذ حاولت في السبعينات تقديم المنهج البنيوي، فقد أثرت مصطلح السيمولوجيا، لمحاولة استزاعه في الثقافة العربية الحديثة بعيدا عن مظنة اشتباهه بالمجالات العربية القديمة من ناحية، وتوثيقا للعلاقة المعرفية مع الفكر النقدي الحديث، وتيسيرا على المثقّفين من ناحية أخرى"¹⁸.

إنّ رؤية الناقد المصري صلاح فضل، تعكس لنا إيمانه بالثقافة (L'acculturation)، ومسايرة الفكر التقدي الحديث؛ هذا الإيمان الذي دفعه إلى استهجان مصطلح السيمياء؛ لأنّ هذا المصطلح في زعمه كان يرتبط ويقترن في الأدب العربي القديم بالكهانة و السحر والسيمياء بالمفهوم القروسطي، واقتفاء الأثر وغير ذلك من الإيماءات، التي تبعده عن الإطار المعرفي الحديث¹⁹

ويرى الباحث الجزائري رشيد بن مالك بعدما عرض- في كتابه "قاموس مصطلحات التحليل السيميائية للنصوص"- كل المقابلات الاصطلاحية أفضل تجسيد يكمن في الكلمة (المصطلح) سيميوطيقا (sémiotique)، ويتجلى هذا في قوله للقارئ: "ليس ما في المعجمات المزدوجة دالا على ما تجسده الكلمة من عناصر المعنى، بينما في المعجم (فرنسي- فرنسي) إمكانيات استيعاب أوضح وأفضل لتجسد المعنى في كلمة (Sémiotique) ففي معجم روبر مثلًا:

- يعتبرها نظرية عامة للأدلة وسيرها داخل الفكر..

- ويعتبرها نظرية للأدلة والمعنى وسيرها في المجتمع..."²⁰

رغم التعدّد الاصطلاحي لهذا المنهج الحدائي، الذي أصبح إشكالية عويصة، أُرقت أصحاب البحث إلّا أنّ إجماعهم اقتصر على شيوع مصطلحين في الدرس التقدي هما: السيمولوجيا والسيميوطيقا، وهذا ما أثبتته محمد عناني في "معجم المصطلحات الأدبية الحديثة": قائلًا: "فالسيمولوجيا أكثر شيوعًا بالمعنيين في الكتابات الفرنسية والسيميوطيقا أكثر شيوعًا، بل هي السائدة الآن (وحدها تقريبًا) في كل ما يكتب بالإنجليزية، وربما كان تفضيل كتاب الفرنسية للسيمولوجيا راجعًا إلى استخدام سوسير لها، وربما كان تفضيل كتاب الإنجليزية للسيميوطيقا راجعًا إلى استخدام جون لوك (1632-1704) أول الأمر عن طريق استعارتها من اليونانية (semiotike)"²¹.

لقد أصبح هذا المنهج؛ حاضرًا في كلّ العلوم الإنسانية؛ وظهرًا في كلّ خطاباتها، التي تشكلت في نسق من العلامات، التي تبحث عن قارئٍ ضمني، يحضر مدلولاتها الغائبة - عن طريق فكّ التشفير- ليربطها بدوالها الحاضرة، لتتنوّع عملية القراءة، وتتباين باختلاف ثقافة القارئ وذهنه ومراجعياته؛ مخالفًا بذلك المبادئ، التي نادى بها المنهج البنيوي، والتي تنهض على مركزية النصّ وأنه لا يوجد شيء خارجة.

(II)- الاتجاهات السيمولوجية وأنواعها:

إذا اعتمدنا على الرؤية الأركيولوجية (vision archéologique)، نجد هذا العلم يتنوّع بتنوّع دراساته للعلامات من خلال ربطها باللغة أو المنطق أو الدلالة أو الثقافة أو التواصل؛ فالسيمولوجيا لم تصبح سيمولوجيا واحدة بل تعدّدت على النحو الآتي:

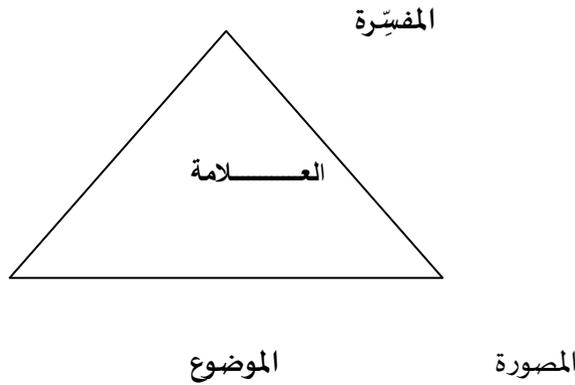
(1)- سيمولوجيا تشارلز بيرس (Charles Sandres Peirce) (1839-1914):

يعد ساندرس بيرس من النقاد الغربيين الأوائل في التأسيس لعلم السيميوطيقا أو علم العلامات فقد مثّل بحقّ الاتجاه السيميوطريقي في الدراسات السيميائية الحديثة²². وتقوم سيميوطيقا بيرس على ثلاث علوم هي: المنطق، والظاهراتية والرياضيات؛ بل "أصبحت العلاماتية علمًا مستقلًا فعلاً، مع عمل الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس (1839-1914). ففيه تمثّل بالنسبة إليه إطارًا مرجعيًا يتضمّن أي دراسة أخرى"²³.

وفي هذا الصدد نجده يقول: "ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون كالرياضيات، والأخلاق، والميتافيزيقيا والجاذبية الأرضية، والديناميكية الحرارية والبصريات، والكيمياء، وعلم التشريح المقارن. وعلم الفلك، وعلم النفس وعلم الصوتيات، وعلم الاقتصاد، وتاريخ العلم والكلام... إلّا أنّه نظام سيمولوجي"²⁴. فتشارلز ساندرس بيرس يرى بأنّ جل العلوم التي ذكرها في قوله- هي أنظمة علاماتية، ولكلّ نظام علاماتي من هذه الأنظمة كيان مستقل عن الآخر.

والعلامة في أطروحات بيرس هي عبارة عن كيان ثلاثي الأركان:

- المصوِّرة (Reperentament): وهي تقابل الدال عند دوسوسير، وهي شيء ما، ينوب لشخص ما عن شيء ما من جهة ما وبصفة ما.
 - المفسرة (Interprétant): وتقابل المدلول عند دوسوسير وهي العلامة المعادلة، التي تخلقها الصوِّرة في عقل الشَّخص، وتأتي لتفسرها.
 - الموضوع (L'objet): لا يوجد له مقابل عند دي سوسير، وهو الشيء، الذي تنوب عنه المصوِّرة أو الدال، وقد ميَّز بيرس بين نوعين من الموضوعات أحدهما الموضوع الديناميكي، وهو الشيء في عالم الموجودات، وثانيهما الموضوع المباشر، ويشكّل جزءاً من أجزاء العلامة وعنصراً من عناصرها المكوِّنة²⁵
- وإذا أردنا أن نتخذ لها تمثيلاً بيانياً، فهي تأخذ الشكل الآتي:



*- خطاطة توضّح كيان العلامة عند بيرس-

فالموضوع من خلال هذه الخطاطة هو التمثيل الحقيقي (الواقعي) لمحصلة الجمع بين الدال (المصوِّرة) والمدلول (المفسرة)، وهناك من الباحثين من يرى أنّ العلامة عند "بيرس" تتخذ ثلاث مستويات هي²⁶:

- الأيقونة (Icône): وتكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على المشابهة
- كصورة العذراء، وصورة المسيح، أو بعض الشَّخصيات التاريخية والسياسية.

- الإشارة (Indice): وتكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على السببية

كالدخان يكون دوما سببه وجود نار تحركه .

- الرمز (Symbol): وتكون فيه العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية أي غير معللة

؛ بل هي ناجمة عن تواضع البشر عليهما، مثل الميزان الذي يعد رمزا للعدالة والحمامة، التي أصبحت رمزا للسلام.

(2)- سيميولوجيا دوسوسير (Ferdinand de saussure) (1913-1957):

لقد أحدث العالم اللغوي السويسري "فردينان دوسوسير" (Ferdinand de Saussure) (1913-1957) ثورة كوبرنيكية في علوم اللسان، ونوّه بمدى نجاعة المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة اللغوية بعد أن رأى أنّ اللغة هي عبارة عن نظام من العلامات الدالة، بل كان يسعى سعياً حثيثاً لأجل دراسة اللغة دراسة علمية لذاتها ومن أجل ذاته، حيث "شكلت آراء" دوسوسير "وفرضياته منعرجاً حاسماً في الدراسات اللسانية الحديثة"²⁷.

ويعد دوسوسير من المبشرين بهذا العلم بعدما أقرّ بأنّ اللغة جزء لا يتجزأ من هذا العلم إذ عدّها "نظام من الإشارات التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقد السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة، أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، لكنه أهمها جميعاً"²⁸.

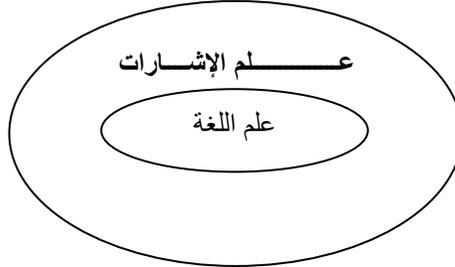
إنّ اللغة في تصوّر السويسري نظام علاماتي تواصلية شبيه بالأنظمة التواصلية غير لفظية (Non verbal) التي يتواصل بها بنو البشر مع بعضهم البعض والعلامة (signe) في النسق تتكون من شقين :

- دال (signifiant): هو عبارة صورة صوتية (Image acoustique).

- مدلول (signifié): هو عبارة عن تصوّر ذهني (concept).

والعلاقة عند دي سوسير- بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية (arbitraire) أي غير معللة، لذلك تباينت لغات البشر، وتباينت أنظمتها الإشارية. وهو الذي اصطلح على تسمية السيميولوجيا بعلم الإشارات إذ يقول: "ويمكننا أن نتصوّر علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع؛ مثل هذا العلم يكون جزء من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات... ويوضّح علم الإشارات ماهية مقومات

الإشارات، وماهية القواعد التي تتحكّم فيها... فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات"²⁹. وإذا أردنا أن نمثل هذه الرؤية السوسيرية تمثيلاً رياضياً، نمثلها حسب الخطاطة البيانية الآتية:



*- خطاطة توضّح العلاقة بين اللغة والسيمولوجيا-

السيمولوجيا- من خلال هذه الخطاطة- أكبر من علم اللغة، لأنها تضمّ الأنظمة الإشارية اللفظية، وغير لفظية بغية تجسيد التواصل (la communication) في المجتمع الإنساني واللغة نظام تواصل لفظي verbal يكتسبه الإنسان في مجتمع لغوي متجانس، أي أنه مجموعة اللغة محتواة- بالمفهوم الرياضي- في مجموعة السيمولوجيا.

(3)- سيمولوجيا الدلالة:

إنّ علم الدلالة هو علم يهتم بدراسة معاني الكلمات³⁰. وقد لاقى هذا العلم اهتمام التّأقّد الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes) (1915-1980)، ونجده في كتابه "مبادئ في علم الدلالة" يضيف مصطلح علم الأدلة على السيميائيات إذ يقول: "ورغم ذلك فإنّه لم يكن محتمّاً على علم الأدلة (السيميائيات)- المدعو دون شكّ إلى التحول ذات يوم- أن يتكوّن، فإنّه لا بدّ له على الأقل من أن يختبر نفسه، ويتفحص الممكنات والمستحيلات"³¹.

لقد كان رولان بارت من المهتمّين بالنّص الأدبي ككيان علاماتي، بل كان مؤمناً بتعددية القراءات لهذا النظام السيمولوجي المشبّع بالدلالات؛ والتي أصبحت من نتاج القارئ (lecteur)، الذي أصبح في نظره هو الأب الشرعي للنص، ضارباً بجهد المؤلف عرض الحائط، إذ اعتبره مجرد ناسخ، واعتبر القارئ هو الصاحب الحقيقي للنص لأنّه يمتلك مفاتيح فكّ التّشفير القرّائي، التي تمكّنه من إنتاج دلالات لا محدودة.

لقد تكلم رولان بارت في كتابه "مبادئ في علم الدلالة" عن العلامة (الدليل) إذ اعتبرها "شريحة إحصائية أو بصرية الخ (ذات وجهين). ويمكن تصوّر الدلالة كسيرورة. فالفعل هو الذي يوحد الدال بالمدلول"³². كما نجده يربط دلالة العلامة (الدليل) بالسياق الذي تتموضع فيه إذ يرى أنّ الدليل يستمد قيمته مما يحيط به.

وسيمولوجيا الدلالة لم ترتبط وتتقيد عند رولان بارث بالنص بل تجاوزته، لتغطي كل جوانب الثقافة والتواصل الإنساني اللفظي وغير اللفظي، والحركي والإيمائي والمورفولوجي، والإعلاني... لذلك نجد كلا من الكاتب "بول كوبلي" و"ليتسا جانز" في كتابهما "أقدم لك علم العلامات"، يذكران اهتمام رولان بارث بالدلالة السيميائية للصورة الإعلانية إذ كتب مقالا موسوماً: "بلاغة الصورة" سنة 1964. حلل من خلاله إعلاننا عن قرصة بانزاني (PanzaniPasta)، يتكوّن من صورة فوتوغرافية بسيطة لبعض المكوّنات الأساسية: طماطم، عيش الغراب، فلفل، بعض علب القرصة، وبعض علب الصلصة متدلّية من حقيبة شبكية³³.

لقد قام رولان بارث باتباع إستراتيجية التحليل الآتية - هذه الإستراتيجية التي أصبحت منوالاً تحليلياً أتبعه من جاء بعده من المهتمين بسيميائية الصورة الإعلانية، أو الصورة الكاريكاتورية بغية الوصول إلى دلالاتها الماورائية- إذ قسم الصورة إلى ثلاث رسائل هي:

- الرسالة اللغوية (le message linguistique): تحتوي على كل الكلمات الموجودة في الإعلان.

- الرسالة الأيقونية المشفرة (le message iconique codé): تحتوي على الإيحاءات المسقطّة على الصورة، والمشتقة من النظام العلاماتي المجتمعي.

- الرسالة الأيقونية غير المشفرة (le message iconique non codé): وتمثّل الدلالات المستوحاة من الصورة الفوتوغرافية.

والقارئ لكي يصل إلى قراءة بانورامية (Panoramique)، لإنتاج الدلالات المسكوت عنها في الصورة: يجب عليه ربط هذه الرسائل ببعضها البعض.

4- سيمولوجيا الثقافة:

لثقافة مفاهيم مختلفة باختلاف الأزمنة والشعوب والطبقات، التي يتألف منها المجتمع. وهي تدلّ بالنسبة إلى كلّ عصر وكلّ فئة من الناس على مجموعة من المعارف، والمهارات التقنية والدّهنية، وأنماط من التصرف والمخالفة التي تميّز شعباً عن سواه من الشعوب³⁴، وسيمولوجيا الثقافة كاتجاه نقدي حداثي له أعلامه وأتباعه أمثال: يوري لوتمان، وأوسبانسكي، وإيفانوف، وطوبوروف؛ والذين كانوا ينضون تحت "جماعة تارتو (Tarto)" الروسية، التي يربط أقطابها "بين السلوك الإنساني وبين إنتاج العلامات واستخدامها، إذ يرون أنّ العلامة تتكوّن من وحدة ثلاثية المبنى، هي: الدال والمدلول، والمرجع الثقافي"³⁵. وهذا الأخير هو وليد المواضعة والاصطلاح ضمن النسق الثقافي، الذي يولد مع كل مجتمع حسب الخطاطة الآتية:

العلامة (الدليل) أداة تواصلية ، أو أداة قصد تواصلية، وهي تتكوّن في نظرهم من الدال والمدلول والقصد، والتواصل حسب رؤاهم مشروط بالقصدية وإرادة المتكلم³⁸.

الخاتمة :

بعد إفراغ الجهد في هذا البحث عن طريق جمع المعلومات حول علم السيمولوجيا (السيمائيات) بكل أنواعها، وذكر نظرة روادها للعلامة في جميع الأنظمة التواصلية سواء كانت ملفوظة أم غير ملفوظة في مختلف الكيانات الاجتماعية، انطلاقاً من توجهاتهم المعرفية ، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- السيمولوجيا علم قائم بذاته، يهتم برصد العلامات في الأنظمة التواصلية الملفوظة وغير الملفوظة، ويركز على فهمها وتفسيرها وتأويلها، للإحاطة بالخطاب وإفرازاته الظاهرة والمضمرة.

- إشكالية المصطلح الناجمة عن لغة النقل، التي يعتمد عليها المترجم، ما تزال ثابتة وقائمة في الدرس النقدي. لذلك لا نرى فيها حائلاً بين استيعابنا للعلم ومصطلحاته بقدر ما تحيلنا إلى الثراء المعرفي الناجم عن الاختلاف الثقافي للمترجمين.

- العالم عند شارلز ساندرس بيرس يتكلم بلغة العلامات، لذلك اهتم بعلم العلامات من منظور الفلسفة والمنطق الرياضي، وفاء لتوجهه واختصاصه.

- اللغة عند دي سوسر نظام علاماتي دال، ينضوي تحت علم العلامات كغيره من الأنظمة التواصلية الأخرى.

- لفهم علم العلامات عند الناقد الفرنسي رولان بارت، يجب أن ننطلق من اللغة، لأنها تساعدنا في فك تشفير الخطاب والوصول إلى المسكوت عنه في تلافيفه.

- ربطت جماعة تارتو (Tarto) علم العلامات بالثقافة ومصادرها عند المجتمعات بغية فهم السلوك الإنساني، الذي يظهر كرد فعل (إستجابة) لمثيرات ثقافية خارجية عدّها أصحاب هذا الاتجاه أنظمة تواصلية ، وحذا حذوهم وسار على خطاهم الناقد الإيطالي أمبرتو إيكو.

- قصدية المتكلم عند رواد سيمولوجيا التواصل هي حجر الزاوية في ربط العلاقات التواصلية بين المتكلمين وفهم العلامات في نسقها التركيبي .

وفي الأخير ندرّك بأنّ هذه الاتجاهات والأنواع؛ هي أهم اتجاهات وأنواع السيمولوجيا، التي استطاعت أن تقدّم للقارئ مكثرات القراءة، واستراتيجية التحليل السيميائي للأدب،

ولمختلف الأنظمة التواصلية الأخرى، التي يزخر بها الكون، الذي أسسه خالقه على حكمة التواصل لاستمرار الحياة... انطلاقاً من فكّ التّشفير عن العلامات، التي يستحضرها الإنسان في نصوصه وخطاباته اللفظية وغير لفظية، وفي كلّ نظام تواصل، استحدثه حسب مرجعياته الثقافية، والأيدولوجية، والعقدية، التي تحكم الوسط الذي يعيش فيه.

1. ثبت قائمة المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- 1) ابن فارس. أبو الحسين أحمد. مقاييس اللغة. تح: أنس محمد الشّامي، دار الحديث، (القاهرة، دط: 2008).
- 2) ابن منظور، عبد الله محمد بن المكرم لسان العرب. تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، (القاهرة، مج: 5، ج: 48).
- 3) الأحمر، فيصل: معجم السيميائيات. لدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت-لبنان، ط: 1: 2010).
- 4) اسماعيلي علوي، أحمد. التواصل الإنساني (دراسة لسانية). دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط: 1: 2013).
- 5) بارت، رولان. درس السيمولوجيا. تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر والتوزيع، (الدار البيضاء-المغرب، ط: 3: 1993).
- 6) بارت، رولان. مبادئ في علم الدلالة. تر: محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، (اللاذقية-سورية، ط: 2: 1987).
- 7) البازي، سعد وميجان الرويلي. دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء-المغرب، ط: 5: 2007).
- 8) باعيسي، عبد القادر علي. في مناهج القراءة النقدية الحديثة. دار الكتاب، (صنعا-اليمن، ط: 1: 2004).
- 9) بحيري، سعيد حسن. علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات. مكتبة لبنان ناشرون، (بيروت-لبنان، ط: 1: 1997).
- 10) بن مالك، رشيد. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي-انجليزي-فرنسي). دار الحكمة، (الجزائر، دط: 2000).
- 11) تاويرت، بشير. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية. عالم الكتب الحديث، (إربد-الأردن، ط: 1: 2010).
- 12) جيرو، بيير. علم الدلالة. تر: منذر عياشي. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، ط: 1: 1988).
- 13) خمري، حسين. نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. دار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت-لبنان، ط: 1: 2007).
- 14) دي سوسير، فردينان. علم اللغة العام. تر: يوثيل يوسف عزيز. دار آفاق عربية، (الأعظمية - بغداد، ط: 3: 1985).
- 15) الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصّحاح. تح: مصطفى البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، (عين مليلة-الجزائر، ط: 4: 1990).

- 16) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (بيروت-لبنان، ج2).
- 17) سشايفر، جان ماري. العلاماتية. تر: منذر عياشي ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص). المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء-المغرب
- 18) ط1: 2004).
- 19) عبد النور، جبور. المعجم الأدبي. دار العلم للملايين، (بيروت- لبنان، ط2: 1984).
- 20) عناني، محمد. المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي. الشركة المصرية العالمية للنشر- (لونجمان، مصر، ط3: 2003).
- 21) الغلاييني، مصطفى. جامع الدروس العربية. المكتبة التوفيقية، (مصر- القاهرة، دط: 2003، ج1).
- 22) فضل، صلاح. في النقد الأدبي. منشورات اتحاد كتاب العرب، (دمشق، دط: 2007).
- 23) قطوس، بسام. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر. دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، (الاسكندرية- القاهرة، ط1: 2006).
- 24) كويلي، بولوليتسا، جانز. أقدم لك علم العلامات. تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ط1: 2005).
- 25) محمد، عبد الناصر حسن. سيميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي. دار النهضة العربية، (القاهرة، دط: 2002).
- 26) مزوز، دليلة. الاحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة. عالم الكتب الحديث، (إربد - الأردن، ط1: 2011).
- 27) المسدي، عبد السلام. قاموس اللسانيات. (الدار العربية للكتاب، دط: دت).
- 28) مطلوب، أحمد. في المصطلح النقدي. مكتبة لبنان ناشرون، (بيروت- لبنان، ط1: 2012).
- 29) هويدي، صالح. النقد الأدبي الحديث (قضاياها ومناهجها). منشورات السابع من أبريل، (ليبيا، ط1: 1426).

II. ثبت قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

1) – Elisabeth Clément et des autres. La philosophie de A a Z. editions-hatier, France .

III. الرسائل الجامعية:

- 1) - عبد الكريم عبد المجيد علي، هيام. دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية (شعر البردوني نموذجاً). أطروحة ماجستير في الأدب العربي (مخطوط). الجامعة الاردنية، 2001).

هوامش البحث:

- ¹ - محمد، عبد الناصر حسن. سيميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي. دار النهضة العربية، القاهرة، دط: 2002، ص: 09.
- ² - ينظر: مطلوب، أحمد. في المصطلح النقدي. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1: 2012، ص: 09.

- ³- المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات. الدار العربية للكتاب، دط: دت، ص: 11.
- *- التركيب البياني: ماتركب من المضاف والمضاف إليه مثل: "كتاب التلميذ، خاتم الفضّة، صوم التّهار" ، وحكم الجزء الثاني منه أنّه مجرور أبدا كما رأيت انظر: الغلايبي، مصطفى. جامع الدروس العربية. المكتبة التوفيقية، مصر- القاهرة، دط: 2003، ج 1، ص: 17.
- ⁴- ابن فارس. أبو الحسين أحمد. مقاييس اللغة. تح: أنس محمد الشّامي، دار الحديث، القاهرة، دط: 2008، ص: 423.
- ⁵- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصّحاح. تح: مصطفى البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة- الجزائر، ط4: 1990، ص: 210.
- ⁶- Elisabeth Clément et des autres. La philosophie de A a Z. editions-hatier, France, p: 408.
- ⁷- البازعي، سعد وميجان الرويلي. دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط5: 2007، ص: 177.
- ⁸- هويدي، صالح. النقد الأدبي الحديث (قضاياها ومناهجها). منشورات السابع من أبريل، ليبيا، ط1: 1426، ص: 137.
- ⁹- انظر: فضل، صلاح. في النقد الأدبي. منشورات اتّحاد كتاب العرب، دمشق، دط: 2007، ص: 66.
- ¹⁰- ابن منظور، عبد الله محمد بن المكرم. لسان العرب. تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مج5، ج48، ص: 4441.
- ¹¹- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تح: محمد ياسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج2، ص: 275.
- ¹²- خمري، حسين. نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1: 2007، ص: 35.
- ¹³- الأحمر، فيصل. معجم السيميائيات. لدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1: 2010، ص: 134.
- ¹⁴- بحيري، سعيد حسن. علم لغة النص المفاهيم والاتّجاهات. مكتبة لبنان ناشرون بيروت- لبنان، ط1: 1997، ص: 119.
- ¹⁵- بارت، رولان. درس السيمولوجيا. تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط3: 1993، ص: 14.
- ¹⁶- قطوس، بسام. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر. دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية- القاهرة، ط1: 2006، ص: 186.
- ¹⁷- فضل، صلاح. في النقد الأدبي، ص: 66-67.
- ¹⁸- فضل، صلاح. في النقد الأدبي، ص: 67.
- ¹⁹- المرجع نفسه، ص: 66.
- ²⁰- بن مالك، رشيد. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي- انجليزي- فرنسي). دار الحكمة، الجزائر، دط: 2000.

- ²¹ - عناني، محمد. المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي. الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان، مصر، ط3: 2003، ص: 152.
- ²² - انضر: تاويريت، بشير. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية. عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1: 2010، ص: 120.
- ²³ - سشايفر، جان ماري. العلاماتية. تر: منذر عياشي ضمن كتاب (العلاماتية وعلم النص). المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب ط1: 2004، ص: 15.
- ²⁴ - تاويريت، بشير. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص: 120.
- ²⁵ - انظر: تاويريت، بشير. الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص: 121.
- ²⁶ - باعيسي، عبد القادر علي. في مناهج القراءة النقدية الحديثة. دار الكتاب، صنعاء- اليمن، ط1: 2004، ص: 74-75-75.
- ²⁷ - مزوز، دليلة. الاحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة. عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط1: 2011، ص: 301.
- ²⁸ - دي سوسير، فردينان. علم اللغة العام. تر: يوثيل يوسف عزيز. دار آفاق عربية، الأعظمية - بغداد، ط3: 1985، ص: 34.
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص: 34.
- ³⁰ - جيرو، بيبير. علم الدلالة. تر: منذر عياشي. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1: 1988، ص: 15.
- ³¹ - بارث، رولان. مبادئ في علم الدلالة. تر: محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية، ط2: 1987، ص: 30.
- ³² - المصدر نفسه، ص: 30.
- ³³ - كويلي، بولوليتسا، جانز. أقدم لك علم العلامات. تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1: 2005، ص: 53.
- ³⁴ - عبد النور، جبور. المعجم الأدبي. دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2: 1984، ص: 81.
- ³⁵ - عبد الكريم عبدالمجيد علي، هيام. دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية (شعر البردوني نموذجاً). أطروحة ماجستير في الأدب العربي (مخطوط)، الجامعة الأردنية، 2001، ص: 51.
- ³⁶ - قطوس، بسام. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص: 195.
- ³⁷ - أنظر: اسماعيلي علوي، أمحمد. التواصل الإنساني (دراسة لسانية). دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1: 2013، ص: 13.
- ³⁸ - قطوس، بسام. المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص: 195.